الإمام الخامنئي في الخطبة العربية لصلاة الجمعة *:

على ساحة العالم الإسلامي إرهاصات مصيريّة كبرى

إنّ هذه الحادثة الإعجازية بدأت على يد الشعب التونسيّ، وبلغت ذروتها بسواعد الشعب المصريّ الرشيد العظيم. لقد انحبست الأنفاس في صدور العالم الغربيّ والعالم الإسلاميّ - ولكلّ واحدٍ أسبابُه - وهم يترقّبون ما سيحدث في مصر الكبرى.

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام على أبناء الأمّة الإسلاميّة في كلّ مكان. على ساحة العالم الإسلاميّ اليوم إرهاصاتُ حادثة عظيمة مصيرية كُبرى، حادثةٍ تستطيع أن تُغيّر معادلات الاستكبار في هذه المنطقة لصالح الإسلام ولصالح الشعوب، حادثةٍ تستطيع أن تُعيد العزّة والكرامة للشعوب العربيّة والإسلاميّة، وتنفض عن وجهها غبار عشرات السنين ممّا جناه الغرب وأمريكا بحقّ هذه الشعوب العريقة الأصيلة، من ظلْم واستهانة وإذلال.

إنّ هذه الحادثة الإعجازية بدأت على يد الشعب التونسيّ، وبلغت ذروتها بسواعد الشعب المصريّ الرشيد العظيم. لقد انحبست الأنفاس في صدور العالم الغربيّ والعالم الإسلاميّ - ولكلّ واحدٍ أسبابُه - وهم يترقّبون ما سيحدث في مصر الكبرى، مصر نوابغ القرن الأخير، مصر محمّد عبده والسيّد جمال، مصر سعد زغلول وأحمد شوقي، مصر عبد الناصر والشيخ حسن البنّا، مصر عام ١٩٦٧ و١٩٧٣، يترقّبون مدى ارتفاع راية همّة المصريّين. فلو أنّ هذه الراية انتكست - لا سمح الله - فسيعقُب ذلك عصرٌ حالكُ الظلام، وإنْ رفرفت على القمم، فإنّها ستُطاول عنان السماء.

الشعب التونسيّ استطاع أن يطرد الحاكم الخائن المُنقاد لأمريكا والمُجاهر بعدائه للدين، ولكنّ من الخطأ الظنّ بأنّ هذه هي النتيجة المطلوبة. النظام العميل لا يسقط بخروج المكشوفين من رموزه. لو حلّ محلّ هذه الرموز بطائنُها لم يتغيّر شيء، بل إنّه الشراك الذي يُنصب أمام الشعب.

في الثورة الإسلامية الكبرى في إيران حاولوا مراراً إيقاع شعبنا في مثل هذا الفخّ، لكنّ وعي الشعب وقائده الإلهيّ العظيم أدرك دسيسة الأعداء وأحبطها، ووا صل الطريق حتى نهايته.

وأمّا مصر، فإنّ مصر نموذجٌ فريد، لأنّ مصر في العالم العربيّ بلدٌ فريد. مصرُ أوّلُ بلدٍ في العالم الإسلاميّ تعرّف على الثقافة الأوروبيّة، وأوّل بلد أدرك أخطار هجوم هذه الثقافة وتصدّى لها. إنّه أوّل بلدٍ عربيّ أقام دولةً مستقلةً بعد الحرب العالميّة الثانيّة، ودافع عن مصالحه الوطنيّة في تأميم قناة السويس، وأوّل بلدٍ وقف بكلّ طاقاته إلى جانب فلسطين، وعُرف في العالم الإسلاميّ

* يوم الجمعة الثلاثون من صفر ١٤٣٢.

مشهد من الانتفاضة الشعبية في تونس

بأنه ملجأٌ للفلسطينيّين. السيّد جمال لم يكن مصريّاً لكنّه لم يرَ في غير شعب مصر المسلم مَن يفهم همّه الكبير. إنّ الشعب المصري أثبت جدارته في ساحات النضال السياسيّ والدينيّ، وسجّل مواقفه المشرّفة على جبهة التاريخ. لم يكن محمّد عبده وتلاميذه وسعد زغلول وأتباعه أشخاصاً عاديّين. كانوا من النوابغ الشجعان والواعين الذين يحقّ لمصر أن تفخر بهم وبأمثالهم. إنّ مصر بهذا العمق الثقافيّ والدينيّ والسياسيّ قد احتلّت بحقّ مكانَ الريادة في العالم العربيّ. إنّ أكبر جريمةٍ ارتكبها النظام الحاكم في مصر هي أنّه هبط بهذا البلد من مكانته الرفيعة إلى مرتبة آلةٍ طيّعةٍ بيد أمريكا في لعبتها السياسيّة على صعيد المنطقة. إنّ هذا الإنفجار الذي نشهده اليوم في الشعب المصريّ هو الجواب المناسب لهذه الخيانة الكبرى التي ارتكبها الدكتاتور العميل بحقّ شعبه.

إنّ الساحة تموج اليوم بألوان التحليل بشأن نهضة الشعب المصري، وكلٌّ يُدلي بدلوه في هذا المجال، غير أنّ كلَّ من يعرف مصر يفهم بوضوح أنّ مصر تدافع اليوم عن عزّتها وكرامتها. مصرُ ابتُليت بخياناتٍ صادرت كرامتها. إنّ شعباً في ذروة العزّة قد أذلّوه إرضاءً لغرور أعدائه وتكبّرهم. إنّ موقف مصر من القضية الفلسطينيّة يُشكّل نموذجاً بارزاً لمكانة مصر.

فلسطين منذ عشرات السنين تشكّل أبرز محور في مسائل المنطقة، ومسائلُ هذه المنطقة متداخلةٌ مترابطةٌ بحيث لا يستطيع أيّ بلد أو أيّ شعب أن يتصوّر مصيره بمعزلٍ عن القضية الفلسطينيّة. وليس ثمّة أكثر من جهتين: إما دعمٌ لفلسطين ونضالها العادل، أو الوقوف في الجبهة المقابلة.

أمّا شعوب المنطقة فقد بيّنت موقفها منذ البداية تجاه هذا الإصطفاف، فحين يتّجه أيّ نظام حاكم إلى دعم القضية الفلسطينيّة فإنّه ينال التفاف شعبه والشعوب العربيّة والمسلمة، ولقد جرّبت مصر ذلك في الستينات وأوائل السبعينات، لكنّه حين يقف في الصفّ الآخر فإنّ الشعب يُعرض عنه، وفي مصر ظهرت الهوّة العميقة بين الدولة والشعب بعد اتفاقيّة العار في كامب ديفيد.

إنّ الشعب المصري استرخص النفس والنفيس لمساعدة فلسطين في ٦٧ و٧٣، لكنّه رأى بعد ذلك بأُمّ عينيه أنّ حكامه هرولوا على طريق العمالة والطاعة لأمريكا، إلى درجة جعلت مصر حليفة وفيّة للعدوّ الصهيونيّ الغاصب. إنّ سيطرة أمريكا على حكّام مصر قد بدّدت كلّ جهود هذا الشعب السابقة في دعم فلسطين، وبدّلت النظام المصريّ إلى عدوٍّ لدودٍ لفلسطين، وأكبر حامٍ للصهاينة المُعتدين، بينما حافظت سورية شريكة مصر في حرب ٦٧ و ٧٣ على مواقفها المستقلّة رغم ما واجهت من ضغوط أمريكيّة هائلة. وبلغ بالنظام المصري العميل أنّ الشعب المصري شاهد لأوّل مرّة في التاريخ أنّ حكومته تقف في حرب «إسرائيل» على غزّة إلى صفّ الجبهة «الإسرائيليّة»، ولم تمتنع عن المساعدة فحسب، بل كانت نشطة في دعم جبهة العدو.

على ساحة العالم الإسلاميّ اليوم إرهاصاتُ حادثة عظيمة مصيرية كُبرى، حادثة تستطيع أن تُغيّر معادلات الاستكبار في هذه المنطقة لصالح الإسلام ولصالح الشعوب، حادثة تستطيع أن تُعيد العزّة والكرامة للشعوب العربيّة والإسلاميّة، وتنفض عن وجهها غبار عشرات السنين ممّا جناه الغرب وأمريكا بحقّ هذه الشعوب العريقة الأصيلة، من ظلْم واستهانة وإذلال.

سوف لا ينسى التاريخ أبداً أنّ حسني مبارك هو نفسه الذي وقف بقوّة إلى جانب «إسرائيل» وأمريكا

في حرب «إسرائيل» وأمريكا على غزّة، حيث قتل النساء والرجال والأطفال خلال ٢٢ يوماً من القصف المتواصل، وفيما فرض قبل ذلك وبعده على غزّة من حصار ظالم. أية معاناة ومحنة عاشها الشعب المصري تلك الأيّام؟ شاشات التلفزيون نقلت لنا جانباً من مشاعر المصريّين وهم يبكون بسبب عدم فسح المجال أمامهم لمساعدة إخوتهم الفلسطينيّين. لقد بلغ السيل الزبى بهذا الشعب، ولم يعد يحتمل هذا الوضع أكثر، وما نشاهده في القاهرة وبقيّة المُدن المصريّة هو انفجار هذا الغضب المقدّس وهذه العُقد المتراكمة في قلوب الرجال والنساء الأحرار المصريّين خلال السنوات الطويلة، جرّاء مواقف هذا النظام الخائن العميل المعادي للإسلام. نهضة الشعب المصريّ المسلم حركةٌ إسلاميّة تحرريّة، وأنا باسم الشعب الإيرانيّ، وباسم الحكومة الثوريّة الإيرانيّة، أُحيّي الشعب المصريّ والشعب التونسيّ سائلاً الله سبحانه أن يمنّ عليكم بالنصر المؤزّر الكامل. إنني أشعر بالفخر والاعتزاز لنهضتكم.

إنّ أكبر جريمة ارتكبها النظام الحاكم في مصر هي أنّه هبط بهذا البلد من مكانته الرفيعة إلى مرتبة آلة طيّعة بيد أمريكا في لعبتها السياسيّة على صعيد المنطقة. إنّ هذا الإنفجار الذي نشهده اليوم في الشعب المصريّ هو الجواب المناسب لهذه الخيانة الكبرى التي ارتكبها الدكتاتور العميل بحقّ شعبه.

أيّها الإخوة والأخوات المصريّين والتونسيّين، لا شكّ أن نهضات الشعوب ترتبط بظروفها الجغرافية والتاريخية والسياسيّة والثقافية الخاصّة ببلدانها، ولا يُمكن أن نتوقّع أن يحدث في مصر أو تونس أو أيّ بلدٍ آخر ما حدث في الثورة الإسلامية الكبرى بإيران قبل أكثر من ثلاثين عاماً، ولكن هناك مشتركات أيضاً، وتجارب كلّ شعبٍ تستطيع أن تكون نافعةً للشعوب

..وفي مصر

الأخرى، وما نراه مفيداً أن نقدّمه من تجارب في الظروف الراهنة هو:

أولاً: إنّ نهضة الشعوب هي في الواقع حربٌ بين إرادتين: إرادة الشعب وإرادة أعدائه. وكلّ جانبٍ كان أكثر وأقوى عزّة وأكثر تحمّلاً للصعاب فهو منتصرٌ حتماً. يقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ فصّلت:٣٠. ويُخاطب ربّ العالمين رسوله بالقول: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ..﴾ الشورى:١٥. العدو يسعى بممارسة القوّة والخداع أن يُوهن من إرادتكم فاحذروا من ضعف إرادتكم.

ثانياً: العدو يحاول بثّ اليأس من تحقيق أهدافكم، بينما الوعد الإلهيّ يقول: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ القصص:٥. فثقوا ثقةً تامّة لا يعتريها تردّد بوعد الله المؤكّد حيث يقول عزّ من قائل: ﴿..وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ الحجّ:٤٠.

ثالثاً: العدو يسوق إليكم قواه الأمنيّة المجهّزة كي يبعث الرعب والفوضى بين الناس. لا تهابوهم. أنتم أقوى من هؤلاء المأجورين. أنتم الآن في مرحلة تُشبه المرحلة التي خاطب فيها الله سبحانه رسوله حيث قال: ﴿..إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ..﴾ الأنفال:٦٥. أنتم تستطيعون بالاتّكال على الله والاعتماد على الشباب الغيور أن تتفوّقوا على كلّ عبثٍ وفوضى وإرهاب.

رابعاً: إنّ سلاح الشعوب المهم في مواجهة قوى

الطغيان والحكّام العملاء هو الاتحاد والانسجام. العدو يسعى بأنواع أساليب المكر أن يُفتّت تلاحمكم، ومن ذلك إثارة مواضع الافتراق، ورفع الشعارات المنحرفة، وطرح وجوه غير موثوقة لتكون بديلة للرئيس الخائن. حافظوا على اتّحادكم حول محور الدين وإنقاذ البلد من شرّ عملاء العدو، ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ..﴾ آل عمران:١٠٣.

خامساً: لا تثقوا بما يلعبه الغرب وأمريكا من دور، وما يقومون به من مناورات سياسية في نهضتكم. هؤلاء كانوا قبل أيام يدعمون النظام الفاسد، وهم اليوم بعد أن يئسوا من الاحتفاظ به راحوا يعزفون على نغمة حقّ الشعوب. هؤلاء يسعون بذلك أن يُبدّلوا عميلاً بعميل، وأن يُسلّطوا الأضواء على بعض الوجوه ليفرضوا عملاءهم عليكم. هذه إهانة لمشاعر الشعوب. ارفضوا ذلك ولا تقبلوا بأقلّ من استقرار نظام كاملٍ مستقلٍ وشعبيٍ ومؤمنٍ بالإسلام.

سادساً: الظرف يتطلّب من علماء الدين والأزهر الشريف بتاريخه النضاليّ المعروف أن ينهضوا بدورهم بشكلٍ بارز، فحين يبدأ الشعب ثورته من المساجد ومن صلوات الجمعة ويرفع شعار «الله أكبر»، فإنّ المتوقّع من علماء الدين أن يتّخذوا موقفاً أبرز، وهو توقّعٌ في محلّه.

سابعاً: الجيش المصريّ الذي يحمل على صدره وسام المشاركة في حربين على الأقلّ مع العدو الصهيونيّ يتعرّض اليوم لاختبارٍ تاريخيٍّ كبير. العدو يطمع أن يدفع به لقمع الجماهير. لو حدث هذا - لا سمح الله - فإنّه يُشكّل ثغرة لهذا الجيش الفخور لا يُمكن سدُّها. إنّ الذي يرتعد أمام الجيش المصريّ يجب أن يكون العدو الصهيونيّ، لا الشعب المصريّ. وممّا لا شكّ فيه أنّ عناصر من الجيش المصري الذي هو من الشعب ومن أبناء الشعب ستلتحق بالجماهير إنْ شاء الله. عندئذٍ ستتكرّر هذه التجربة الحلوة في مصر مرّة أخرى.

إنّ الشعب المصري استرخص النفس والنفيس لمساعدة فلسطين في ٦٧ و٧٣، لكنّه رأى بعد ذلك بأُمّ عينيه أنّ حكامه هرولوا على طريق العمالة والطاعة لأمريكا، إلى درجة جعلت مصر حليفة وفيّة للعدوّ الصهيونيّ الغاصب.

ثامناً و أخيراً: إنّ أمريكا التي دعمت الحكّام العملاء ثلاثين عاماً خلافاً لإرادة الشعب المصريّ، ليست الآن في موقف يؤهّلها أن تدخل في قضيّة مصر في وساطة أو نصيحة. انظروا بعين الشكّ والتشاؤم في هذا الشأن إلى كلّ توصية وخطوة أمريكيّة و لا تثقوا بها.

أيّها الإخوة و الأخوات، نستطيع أن نفهم بوضوح أنّ نهضة الشعب المصريّ يوجّهها جمعٌ من نخب السياسة والحكماء بالتشاور والتنسيق بينهم، ونتضرّع إلى الله أن يأخذ بأيديهم، غير أنّ الذي ذكرناه إنّما هو تجاربنا، وأنا باعتباري أخاً لكم في الدين، وانطلاقاً من التزامي الدينيّ قدّمت لكم تلك التجارب. يا أبناء الكنانة، إنّ الأبواق الإعلاميّة للعدوّ سوف ترفع عقيرتها - كما فعلت من قبل - بالقول إنّ إيران تريد أن تتدخّل، تريد أن تنشر التشيّع في مصر، تريد أن تُصدّر ولاية الفقيه إلى مصر، وتريد وتريد... هذه أكاذيبٌ ملأت آذاننا خلال ثلاثين عاماً. الهدف منها أن يفرّقوا بين الشعوب بعضها من مساعدة بعض، وردّدها أيضاً المأجورون: ﴿..يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ الأنعام:١١٢. إنّ هذه الأحابيل لن تُثنينا إطلاقاً عن أداء ما حمّلنا الإسلام من مسؤولية، والله من وراء القصد. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

ما نشاهده في القاهرة وبقيّة المُدن المصريّة هو انفجار هذا الغضب المقدّس وهذه العُقد المتراكمة في قلوب الرجال والنساء الأحرار المصريّين خلال السنوات الطويلة، جرّاء مواقف هذا النظام الخائن العميل المعادي للإسلام.